Majallah-yi Talim o Tahqiq
مجلہ تعلیم و تحقیق
Markaz Talim o Tahqiq, Gulshan-e-Taleem, Sector H-15, Islamabad, Pakistan
مرکز تعلیم و تحقیق، گلشنِ تعلیم، ایچ۔۱۵، اسلام آباد، پاکستان
ISSN (P): 2618-1355, ISSN (Online): 2618-1363
Issue 4, Vol 7 , October-December,2025
شمارہ ۴، جلد ۷، اکتوبر—دسمبر، ۲۰۲۵

آداب معاشرة الإخوة في ضوء الدراسة الإسلامية

Etiquette of brotherhood in the light of Islamic study

Dr. Zia Ul Haq[1]
Dr. Ikram Ul Haq[2]

ABSTRACT

Brotherhood is one of the most important issues in Islam. There are two forms of brotherhood. One is a blood relationship - that is being born of the same parents. This is the closest kind of relationship that results in either one inheriting from the other. This is considered the second level of those who inherit from us according to Islamic jurisprudence. There are certain decrees in this regard. The second form of brotherhood is through common belief. It is the form of brotherhood that has related all the Muslims together. It has become the source of unity of all the Muslims in the world. The Arabic word for brother is "Akh". Its real meaning is brother, friend or companion. It really refers to two people who have the same mother, father or both. It is also used for someone who has been breast-fed by one's mother. In a more general sense, it is also used for one's partner in industry or trade, one who is from the same tribe or one who has the same beliefs. There are several instances in the Holy Qur'an when this word is used to refer to real brothers or believing brothers like in many Suras of Quran. Indeed, the word of Almighty (إنما المؤمنون إخوة) :is one of the basic slogans in Islam. It is a profound, eloquent, and influential slogan. Based on this important Islamic principle, Muslims, regardless of their tribes, nationalities, languages, and ages, feel brotherhood among themselves, even if some of them live in the East and the other In the West, for example, in the rituals of Hajj, where Muslims from all points of the world gather in the center of monotheism, this relationship, connection and harmony appears. Islam sees all Muslims as one family and addresses them all as brothers and sisters. This is not in words and slogans, but in similar actions and pledges as well. Therefore, I would like to explain for you the Manners that a Muslim brother should pay attention to other peoples.

KEYWORDS: Brotherhood, Basic slogan, connection and harmony, Islamic principles, Monotheism

[1]. Assistant Professor Department of Islamic Studies, Riphah International University Islamabad,zia.haq@riphah.edu.pk
[2] Assistant Professor, DIS, Riphah International University Islamabad,ikram.haq@riphah.edu.pk

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله وصحبه وكل من سلك سبيله، واهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

فإن قول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) سورة الحجرات: (10) من أهم الشعارات في الإسلام، حيث تُظهر الوحدة والترابط بين المسلمين بغض النظر عن اختلافاتهم في القبائل والثقافات والأعمار. ففي مناسك الحج مثلاً حيث يجتمع المسلمون من أنحاء العالم كافة في مركز التوحيد تظهر هذه العلاقة الوثيقة، وإنّ الإسلام يرى المسلمين جميعاً كالأسرة الواحدة ويخاطبهم جميعاً بالإخوان والأخوات وليس ذلك في اللفظ والشعار فقط، بل في العمل والتعاملات أيضاً، كما عبّر النبي -ﷺ- الأمة بالجسد الواحد، حيث قال: (مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ. مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى) ولذا أودّ أن أبين لكم الآداب التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأوضح أهميتها في حياة المسلم، وكيف تساهم في تعزيز التماسك الاجتماعي والوحدة بين المسلمين.

الدراسة السابقة:

لقد أولت الشريعة الإسلامية اهتماما كبيرا بالأخوة والمحبة بين المسلمين، فوردت النصوص الكثيرة التي تشجع وتحث المسلمين على الوحدة والترابط الاجتماعي وتنهى عن التفرق والحسد والبغضاء، وقد تجلّت هذه القيم في حياة الصحابة الكرام في عهد النبي -ﷺ- مما جعل ذلك الجيل يُعَدُّ خير القرون، هناك العديد من المؤلفات والمقالات التي كتبت حول الموضوع نحو: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، يتناول هذا الكتاب آداب الصحبة والأخوة ويشرح كيف يمكن للمسلمين الالتزام بآداب الأخوة، والأخوة في الله لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ناقش فيه مفهوم الأخوة في الإسلام مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وغاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة لحازم خنفر، شرح حقوق الأخوة في ضوء النصوص الشرعية، والأخوة أيها الإخوة لأبي العلاء محمد بن حسين بن يعقوب السلفي المصري، وغير ذلك من الكتب التي بسطت الشرح حول الموضوع، ومن المقالات التي كتبت حول الموضوع: آداب الأخوة في الإسلام، وأثر الأخوة الإسلامية في بناء المجتمع، والأخوة في السنة النبوية وغيرها من المقالات والأبحاث التي وضّحت أهمية الأخوة في الإسلام، وفي هذه المقالة قمت بتلخيص هذه الآداب وكتابتها بأسلوب مبسط ليسهل على الجميع فهمها وتطبيقها في الحياة اليومية. أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد، وأن يجعله زادًا ينفعنا يوم القيامة.

منهج البحث:

1- المنهج الوصفي التحليلي حيث إن المقالة تبين آداب الأخوة وتوضح خصائص الصحبة الصالحة والأخلاق الحميدة، وتركز على وصف سلوكيات ومبادئ أخلاقية في ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة.
2- المنهج الاستنباطي من النصوص الشرعية؛ إذ تستند المقالة بشكل كبير إلى القرآن الكريم والسنة النبوية لاستنباط الأحكام والآداب.
3- المنهج التاريخي التوضيحي حيث يذكر الباحث أمثلة من حياة الصحابة أو من التاريخ الإسلامي؛ لتوضيح القيم والمفاهيم.

الأدب الأول: اختيار الرفيق والجليس:

إن الإنسان على عادة صاحبه وطريقته وسيرته، حيث قال الرسول -ﷺ-: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) [3] يجب على المسلم أن ينتبه إلى من يرافقه ويتأمل في أصدقائه ومن يصاحب، حيث ينبغي له أن يحذر من مصاحبة الأشرار وأهل الفجور، ويتجنب التعامل معهم؛ لأن الطبع يتأثر ما حوله دون أن يشعر الإنسان به، قال النبي -ﷺ- (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي) [4]، إنما حذّر الإسلام من التعامل مع الأشرار وأهل الفجور؛ لأنهم يخالفون تعاليم الله وتصرفاتهم تضر بالدين، كما ينبغي تجنب مصاحبة الكفار والمنافقين كذلك، لأن الخلّة السيئة تسبب ندمًا يوم القيامة، حيث يشعر الإنسان بالندم على اختياره لهذه الصحبة السيئة. كما قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) [5]، وقوله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [6] والمراد بقول النبي -ﷺ-: (ولا يأكل طعامك إلا تقي) هو طعام الدعوة دون طعام الحاجة، وذلك لأن الله سبحانه قال: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [7] ومعلوم أن أسراءهم كانوا كفاراً غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذّر -ﷺ- من الصحبة السيئة ومخالطتهم ومؤاكلتهم، فإن المصاحبة والمخالطة توقع الألفة والمودة في القلوب [8].

إن ضرر الاقتران بصحبة سيئة والجلوس معهم متحقق لا محالة مهما استعمل وسائل التحرز، بنص قوله -ﷺ- (مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) [9]. وعليه فإن اختيار الصديق يعتبر قراراً مهماً يُشبه اختيار الزوجة من حيث إنها تؤثر على مستقبله بشكل كبير.

في ضوء ما سبق ينبغي للمسلم أن يقوم باختيار الرفيق الصالح، التقي، حسن الخلق، الوفيّ، الذي يذكّرك بالآخرة عندما تراه، ويكون متفائلا ومشجعا على الأعمال الصالحة ويحثّك على الجد والاجتهاد، والحذر الحذر من جليس السوء الذي يفسد عاقبتك، ويكون عدوا لك يوم القيامة؛ لأنه لم يتفق معك باطنا وإن كان يجاملك في الظاهر.

وأما خصال الجليس الصالح فهي كالتالي:

---

(1) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يخالس، رقم الحديث: 4835، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون سنة)، ج 4، ص 407، ومحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، (بدون تحديد كتاب)، (بدون تحديد باب)، رقم الحديث: 2378، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون سنة)، ج 4، ص 589.

(2) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث: 4834،ج 4، ص 407، ومحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم الحديث: 2395، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون سنة)، ج 4، ص 600.

(3) سورة الفرقان الآية: (28،27)

(4) سورة الزخرف الآية (67)

(5) سورة الإنسان الآية: (8)

(6) ينظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج 13، ص 123، وفؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، كتاب الآداب، ج 1، ص 193.

(7) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم الحديث: 2628، دار إحياء الكتب العربية، (الطبعة الأولى)، ج 4، ص 2026.

أولا: أن يكون دينه سليما من البدعة والخرافات والفسق وتفضيل الدنيا؛ لأن من شرط الصحبة أن تقوم على الإيمان والتقوى

ثانيا: أن يكون حسنا في خلقه وطيبا في قوله.

ثالثا: أن يكون من الناصحين، حيث يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

رابعا: أن يكون مستعدا لبذل المعروف وكف الأذى.

خامسا: أن يكون سليم العقل وحسن الاختيار وسديد الرأي [10].

فالصديق الصالح هو الذي يعينك على أمور الخير، ويأمرك بالمعروف وينهاك عن المنكر ولا يغتابك، ولا يحسدك ولا يبغضك، بل يحفظك من وراءك، وإذا أخطأت يبحث لك عذرا، ولا يسيء الظن بك مهما كان الأمر، وإن كنت في حاجة، بادر في قضاء حاجتك، ويكون ذلك كله لابتغاء مرضاة الله تعالى، ولأن لو قال لك الصديق أحبك في الله فتجيبه بقول: أحبك الله فيما أحببتني، حتى تقوى هذه الخلة وتدوم وتستمر ولا تنقطع لأجل حظوظ الدنيا الزائلة.

الأدب الثاني: المحبة في الله، والبشاشة والتودد للإخوان

إن أعظم مقامات الأخوة أن تكون في سبيل الله ولرضاه، دون السعي للمناصب أو المنافع الدنيوية، فالمحبة الصادقة في الله والأخوة الحقيقية في سبيله هي الهدف الأسمى. يجب أن يحرص المرء على ألا يلوث هذه العلاقة بمآرب دنيوية) بشّر الله سبحانه بنجاته من شدة عذاب يوم القيامة، ودخوله في ظل عرش الرحمن، حيث قال النبي -ﷺ- (إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) [11]، وقال - ﷺ- : (قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ) [12]

عندما يزداد حب الله في القلب، يزداد بذلك حب أوليائه والصالحين من عباده. لذا ينبغي للشخص أن ينظر إلى من يقربه ويصاحبه من أصحاب الخير، ويجب أن يختار فقط من ينسجم مع قيمه ودينه، وأدنى ما يتوقعه الشخص من أخيه هو الاحترام والمعاملة اللطيفة، وكان النبي -ﷺ- بسّاما، وكلما كان يرى أصحابه كان يبتسم ويفرح برؤيتهم، وقال -ﷺ- (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) [13].

وكذلك والرفق والتودد واللين يقوي الروابط بين الإخوان، ويجعل الصلة بينهم عميقا، وقد حث النبي -ﷺ- على ذلك حيث قال -ﷺ-: (حُرم على النار كل هينٍ لينٍ سهلٍ قريبٍ من الناس) [14]، وقال -ﷺ-: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) [15]، ومن الأمور التي تعين على استمرار المحبة،

---

(8) ينظر: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، 1398هـ، ج 1، ص 99، ومجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، رقم العدد: 238.

(9) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب فضل الحب في الله، رقم الحديث: 2566، ج 4، ص 1988.

(10) أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، رقم الحديث: 22030، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، ج 36، ص 359، ومالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، رقم الحديث: 1711، دار إحياء التراث العربي، ج 2، ص 953.

(11) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم الحديث: 2626، ج 4، ص 2026.

(12) أخرجه الترمذي في سننه: (654/4)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن -ﷺ-، رقم الحديث: (2488).

(13) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث: 2488، ج 4، ص

وإزالة البغضاء من القلوب؛ هو التهادي بين الإخوان، فقد روى مالكٌ في موطأه: أن رسول الله -ﷺ- قال: (تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) [16]، فإذا صفت المحبة وخلصت النيات، فصار بذل المال أحقر الأشياء؛ ولذلك لما صفت محبة الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- فيما بينهم، ولم يكن ذلك لغرض من أغراض الدنيا، صاروا كالبنيان المرصوص، وصاروا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهذه صفة قد مدحها الله تعالى في القرآن الكريم؛ لأنهم قد وصلوا بذلك إلى أسمى مراتب الأخلاق السامية، ولم يبق بينهم اختلاف، لذلك لما نتأمل في حياة الصحابة -رضي الله عنهم- نرى فيهم عجائب في الإيثار والمحبة ليس لها مثيل في التاريخ، كما نرى في قصة المؤاخاة بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع حيث آخى النبي -ﷺ- بينهما فقال سعد بن الربيع الأنصاري لعبد الرحمن: عندي مال أقسمه نصفين بيني وبينك ولكن بالمقابل قال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، ليس لي حاجة في ذلك، أخبرني عن موقع السوق، فذهب فباع واشترى فربح ربحا كثيرا، إذً لم يكن في قلوبهم الشح وحب الدنيا وإنما صفت قلوبهم لله تعالى [17].

في ضوء ما سبق، ينبغي للمؤمن الصادق أن يحب أخاه في الله تعالى، وألا يكون الحب لأجل الدنيا الزائلة والمقاصد الدنيئة، بل للمقاصد السامية الرفيعة، وأعلاها أن يكون المقصود بذلك رضا الله تعالى. والنبي ﷺ وأصحابه قدوة حسنة لنا في ذلك، ويجب أن نقتدي بهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا إذا اطلعنا على أحوالهم وقرأنا عنهم.

الأدب الثالث: استحباب بذل النصيحة

إن بذل النصيحة من تمام الأخوة، وهي مطلب شرعي مرغوب فيها وقد كان النبي -ﷺ- يبايع عليها أصحابه، كما قال جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- (بايعت رسول الله -ﷺ- على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) [18].

يدل هذا الحديث على أهمية النصيحة وعلو منزلتها؛ لأن النبي -ﷺ- ذكرها مع الصلاة والزكاة التي هي من أركان الصلاة، وقال النبي -ﷺ- في حديث آخر: (الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله -ﷺ-؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [19].

قال ابن القيم الجوزي [20]: "اعلم أن النصيحة لله عز وجل المناضلة عن دينه والمدافعة عن الإشراك به وإن كان

654.

(14) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب فضل الرفق، رقم الحديث: 2593، ج 4، ص 2003.

(15) ينظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، التبصرة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار السلام، الطبعة الأولى، 1433هـ، ج 1، ص 700–705، وكتاب الآداب، ج 1، ص 194، الرحيق المختوم، ج 1، ص 255.

(16) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، رقم الحديث: 57، ج 1، ص 31، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 56، ج 1، ص 75.

(17) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 55، ج 1، ص 74.

(18) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم، ولد وتوفي في بغداد. حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون. ينظر: أحمد بن محمد الأدنهوي، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، 1997م، ج 1، ص 208.

غنياً عن ذلك، ولكن نفعه عائد على العبد، وكذلك النصح لكتابه الذب عنه والمحافظة على تلاوته، والنصيحة لرسوله إقامة سنته والدعاء إلى دعوته، والنصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم، والجهاد معهم، والمحافظة على بيعتهم، وإهداء النصائح إليهم دون المدائح التي تغر، والنصيحة لعامة المسلمين إرادة الخير لهم، ويدخل في ذلك تعليمهم وتعريفهم اللازم، وهدايتهم إلى الحق" [21].

من أعظم حقوق المسلم على أخيه المسلم أن يدعوه إلى الخير ويحثه على التقوى، ويساعده في تحسين دينه وأخلاقه، ويدعوه إلى الاستقامة على الطريق المستقيم. هذه هي الحقوق العظيمة، وإذا رأيت أخاك يتجاوز حدود الله أو يتبع طرقًا خاطئة، يجب أن تدعوه إلى الخير وتنصحه وتحذره من الوقوع في الأخطاء، وتوضح له الحقيقة في ضوء القرآن والسنة [22].

اعلم أن الشخص الذي ينصحك بصدق هو من يهتم بك ويحبك، والشخص الذي يداهنك فإنه يضرك ويخدعك، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- "لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين" [23]

وأحب من تبذل إليهم النصيحة، هم أقرباءك وجيرانك، فتبين لهم عظمة الكتاب وفوائد تلاوته وما هي مكانة السنة النبوية في الإسلام، وماذا قال الله تعالى في كلامه المجيد عن اتباع الرسول -ﷺ-، فالإنسان الذي يقوم ببذل النصيحة والدعوة إلى الله له أجر عظيم، بل من يهديه الله على يديه يكون له أجرا مثل أجوره، لا ينقص منه شيئا، فمن يحب إن يتغمده الله تعالى برحمته، فليجتهد في بذل النصيحة بين الإخوة، ويرجو الثواب عند الله تبارك وتعالى، ويطرح وساوس الشيطان الذي عاهد مع الله تعالى أن يغوى عباده عن الصراط المستقيم.

في ضوء ما سبق: ينبغي لكل من آمن بالله وبرسوله أن يبذل النصيحة، سواء كان قريبا أو بعيدا، ولا تجوز المجاملة، وإنما المؤمن مرآة المؤمن، يأخذ بيده إذا ضلّ سبيله، وأرشده إلى الصراط المستقيم، ويكون حريصا على هداية الأخ المسلم وحفظه من وساوس الشيطان.

الأدب الرابع: حسن الخلق والتعاون والتواضع فيما بينهم:

طوبى لمن وُفق بحسن الأخلاق من الله، فإن كل إنسان ذو خُلق جميل، يُعظم ذكره في نفوس الناس، ويرتفع مكانته بينهم. والأخلاق الحميدة تتضمن التواضع، والتسامح، والصبر، وغيرها من السمات الحميدة.

وقد وردت أحاديث كثيرة التي تدل على فضل حسن الخلق، منها قول النبي -ﷺ- "إن من خياركم أحسنكم

---

(19) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، 1418هـ، ج 1، ص 1143، وينظر: كتاب الآداب، ج 1، ص 195.

(20) ينظر: أمير بن محمد المدري - داعية يمنية، إمام وخطيب مسجد الإيمان له العديد من المؤلفات والرسائل- المواعظ الإيمانية من الآيات القرآنية، ج 1، ص 201.

(21) علي بن نايف الشحود، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، أرشيف ملتقى أهل الحديث، تم تحميله في 7 رمضان 1429هـ = 7 سبتمبر 2008م، ج 14، ص 352، وأبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري، رسالة المسترشدين، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1391هـ، ج 1، ص 71.

أخلاقا" [24]، وقال -ﷺ- "أكثر ما يدخل الجنة التقوى وحسن الخلق" [25]، وقال -ﷺ- في مقام آخر "اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" [26]، وكان من دعائه في الاستفتاح -ﷺ- "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت" [27].

إن صاحب الخلق الحسن، يكون محبوبًا عند الناس، حيث يحبون مجالسته ويستمتعون لحديثه، وبالمقابل، صاحب الخلق السيء يبعد الناس عنه، ويكون حديثه مملاً، ومجالسته مزعجة. لذا، يجب على الإخوة أن يظهروا وجوههم الطيبة لبعضهم البعض، وأن يختاروا كلماتهم بعناية ولطف، وأن يسامحوا ويتجاوزا عن أخطائهم، ويبحثوا عن العذر لهم [28].

ومن الآداب: التعاون فيما بين الإخوان، وضابط هذا التعاون أن يكون على البر والتقوى ولا يكون على الإثم والعدوان كما قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" [29]، ولنا في ذلك أسوة حسنة من سيرة خير البرية -ﷺ- حيث كان يشارك أصحابه ويقدم لهم العون، كما شارك -ﷺ- أصحابه في بناء المسجد في المدينة، وكان يقول -ﷺ- عند نقل الصخر: اللهم لا خير إلا خير الآخرة----فاغفر للأنصار والمهاجرة، ومن ذلك مشاركته -ﷺ- يوم الخندق ومساعدتهم عندما عرضت كُدية شديدة، فاشتكوا إلى النبي -ﷺ-، فأخذ -ﷺ- المعول فضرب حتى عاد كثيبا [30].

قال -ﷺ- موضحا أهمية التعاون: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه" [31]، وقال -ﷺ- في موضع آخر "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" [32].

ومن الآداب: التواضع فيما بينهم وعدم التكبر أو الفخر عليهم، والتواضع مطلوب ومأمور والفخر منهي عنه ومذموم، حيث قال النبي - ﷺ- "لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبه مِثقال ذرةٍ من كِبر" فقال رجل: إنّ الرجلَ يحب أن

---

(22) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: 3366، ج 3، ص 1305، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم الحديث: 2321، ج 4، ص 1810.

(23 محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، رقم الحديث: 4246، ج 2، ص 1418.

(24) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم الحديث: 1987، ج 4، ص 355.

(25) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم الحديث: 771، ج 1، ص 534.

(26) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، آداب الصحبة، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، مصر، الطبعة الأولى، 1410هـ، ج 1، ص 43، وكتاب الآداب، ج 1، ص 197.

(27) سورة المائدة الآية: (2)

(28) كتاب الآداب، ج 1، ص 196، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، زاد المهاجر، تحقيق: محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة.

(29) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث: 467، ج 1، ص 182، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: 2585، ج 4، ص 1999.

(30) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث: 2699، ج 4، ص 2074.

يكون ثوبه حسنا، ونَعله حسنة؟ قال: "إنّ الله جميلٌ يحب الجمالَ، الكِبر: بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس" [33]، وقال -ﷺ-: "إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغِ أحدٌ على أحدٍ"" [34].

ولا شك أن الله تعالى جعل التفاوت بين الناس في النسب والحسب والمال، وهذه سنة الله في خلقه، ولكن يجب ألا يؤدي ذلك إلى التفاخر والتحقير فيما بينهم، بل متى كان الشريف أو الحسيب أو الغني متواضعاً لله، ليناً كريما مع إخوانه، ازداد بذلك رفعةً عند الله وقبولاً عند خلقه، قال -ﷺ-: "وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه" [35]؛ ولأن من خصائص المجتمع المسلم أن سلوكياتهم وأخلاقهم تتصف بقيم وأخلاق يعم بها الحب والتعاون والتسامح والإيثار والعطاء بين المجتمع، ولأن لا قيمة للحياة التي تعيش في مجتمع تكون الأخلاق سيئة؛ وتنتشر فيه الشر بدلا عن الخير، وتكون القلوب مليئة بالحقد والحسد والبغضاء، وتضعف أواصر المحبة والتعاون والأخوة.

إن المجتمع يرتفع ويسمو عندما يقوم باختيار القيم الإسلامية التي أرشد إليها القرآن والسنة المطهرة، كما نشاهد ذلك في التاريخ الإسلامي، ونفتخر بذلك، ولكن هنا نتأسف ونحزن على البلدان الإسلامية التي تركوا حبل الله المتين وتفرقوا، فكانوا هباء منثورا، وإذا تساءلنا أنفسنا عن سبب هذا التفرق، سنجد جوابا، ألا وهو البعد عن الدين الإسلامي، والتعاليم والآداب الإسلامية التي يعلّمنا كيف نعيش بين أقراد المجتمع، وإنما التعاون والتودد والتواضع من الأخلاق السامية التي تتصور الحجر الأساس لبناء المجتمع الصالح المتعاون، وينتشر المحبة ويحل مكان العداوة والحسد والبغض، ويكون المجتمع كالبنيان المرصوص، ونرى ذلك عندما هاجر النبي -ﷺ- إلى المدينة، فاهتم بتربية أصحابه، وأدّبهم حق التأديب، حتى أصبحوا كالنجوم في السماء في إرشاد الناس إلى الحق، نسأل الله تعالى أن يعود إلينا العز والوقار.

الأدب الخامس: سلامة الصدر، وإحسان الظن بالإخوان وعدم التجسس عليهم

إن صفة سلامة الصدر هي صفة عظيمة، قليل من الناس يتحلون بها؛ لأنه عسير على النفس؛ لأن من الصعب على الشخص التخلي عن مطالبه وحقوقه لأجل الآخرين ومن يواجه ظلم الآخرين بصدرٍ واسع ولا يرد بالمثل، ولا يحمل البغض والحسد، نال مرتبة رفيعة من الأخلاق الرفيعة وهو عسير على النفس ونادر في الناس، ولكن يسير على من يسّره الله تعالى عليه، ولذلك كان من دعاء النبي -ﷺ- "واسلل سخيمة صدري" [36].

فيجب على المسلم أن يقوم بتربية نفسه على سلامة الصدر وطهارة السريرة التي هي صفة من صفات أهل الجنة، قال سبحانه وتعالى: "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ" [37]، وقال النبي -ﷺ- "المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم" [38]، عندما يحمي الله سبحانه عبده من الحسد والحقد، يريد الله به خيرًا كبيرًا، وإذا أراد

---

[31] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث: 91، ج 1، ص 93.

[32] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث: 2865، ج 4، ص 2198.

[33] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث: 2588، ج 4، ص 2001.

[34] محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، باب في دعاء النبي ﷺ، رقم الحديث: 3551، ج 5، ص 554.

[35] سورة الحجر الآية (47)

[36] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، باب في حسن العشرة، رقم الحديث: 4792، ج 4، ص 397.

هلاك عبده، يملأ قلبه بالغيرة والكراهية والحسد، حتى يُهلكه. فالحسد يؤدي إلى الظلم والبغضاء، وهو ما حدث مع إبليس عندما حسد آدم، فأضله الله تعالى ولعنه بسبب ذلك [39].

ومن حسن المعاملة بين الإخوان إحسان الظن بهم، وحمل كلامهم وما يصدر منهم من الأعمال على أحسن المحامل. ونُهينا عن سوء الظن فإنه أكذب الحديث، كما قال رسول الله -ﷺ-: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا" [40]، والمراد بالنهي هنا النهي عن ظن السوء، ويوافق هذا الحديث قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌۖوَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم.."، فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة؛ لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن [41].

إن حسن الظن يؤدي إلى سلامة الصدر من الحقد والضغينة، ويقوى روابط المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، وتكون القلوب مجتمعة ومتآلفة، فلا يمكن لأحد أن يتدخل في شؤونهم ولا يستطيع أن يفرق صفوفهم، وتكون مثل هذه المجتمعات بعيدة عن المنكرات، والمصائب، بينما سوء الظن يهلك صاحبه؛ لأن سوء الظن يحث صاحبه على التجسس، والمتجسس لا محالة يتتبع عورات الناس، ويبحث عن زلاتهم، وذلك يجلب غضب الله تعالى وسخطه، فذلك خزي الدنيا والآخرة.

هناك عديد من الأسباب المعينة على حسن الظن:

اوّلا: الدعاء فإنه باب كل خير؛ لأن المؤمن يرى نفسه محتاجا إلى تبارك وتعالى، فيستعين به ويتوكل عليه، ويدعوه في كل صغير وكبير، ويكون ذلك ديدنه في الحياة كله.

ثانيا: من صفات المسلم أنه إذا سمع الكلام الصادر من الناس فلا يسئ الظن بهم، بل يحمله على أحسن المحامل، ولا ينظر إلى أقوالهم وتصرفاتهم نظرة شك وريبة.

ثالثا: لا يحكم على نيات الناس وإنما يترك الأمر إلى الله، وهذا من أعظم أسباب حسن الظن.

رابعا: يلتمس المسلم عذا لأخيه إذا صدر منه قولا أو فعلا يكون سببا للضيق والحزن، فهذا شاق على النفس، ولكن المؤمن القوي لا يترك الشيطان يدخل في نفسه ويلعب بمشاعره، وإنما يبحث عن أعذار كما قالوا: التمس لأخيك سبعين عذرا.

خامسا: إن المؤمن الصادق دائما ينظر إلى نتيجة العمل، فإنه يخطو كل خطوة باحتياط، فسوء الظن لا خير فيه؛ لأنه يجلب المصائب والآفات، ويورث غضب الله تعالى.

---

[37] ينظر: محمد بن محمد المختار الشنقيطي، معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية، ج 1، ص 60، وكتاب الآداب، ج 1، ص 198.

[38] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم الحديث: 4849، ج 5، ص 1976، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم الحديث: 2563، ج 4، ص 1985.

[39] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج 10، ص 481، وكتاب الآداب، ج 1، ص 198.

في ضوء ما سبق: أن الإسلام أمرنا أن نحسن الظن بالإخوان، ولا نسيء الظن بهم، بل نبحث لهم الأعذار إذا زلّوا وأخطأوا، ولا نتجسس، ولا يغتب بعضنا بعضا، وإنما مفتاح السعادة سلامة الصدر؛ لأن الله تعالى ضمن له الفلاح حيث قال: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [42]، ومن يرجو لقاء الله تعالى وثوابه، فليجتهد في سلامة الصدر والقلب من شوائب الدنيا الزائلة، ويقبل على ابتغاء رضوان الله تعالى ليلا ونهارا، نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى سواء الصراط.

الأدب السادس: العفو عن الزلات وكظم الغيظ، واستحباب الإصلاح بين الإخوان:

عندما يتعامل الإنسان مع الآخرين، فقد يقع بعض التقصير والتفريط والتعدي من بعضهم على بعض إما بقولٍ أو فعلٍ؛ فمن وقع عليه ظلما من أخيه أُستحب له أن يكظم غيظه ويعفو عنه، كما قال تعالى: (وَالَّذِيْنَ يجتنبون كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوْا هُمْ يغفرون) [43]، وقال تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [44]، قوله تعالى: (والكاظمين الغيظ) أي: هم الذين يتمكنون من كتم غضبهم حين يتعرضون للظلم من الآخرين الموجب للانتقام بالقول والفعل، ولكنهم يتمالكون أنفسهم، ويصبرون ويتجنبون الرد بالقول أو الفعل على من يسيء إليهم. وقوله تعالى: (والعافين عن الناس) أي: هم الذين يتسامحون مع الآخرين، ويغفرون لكل من أساء إليهم سواء بالقول أو الفعل. والعفو أكثر جمالًا من كظم الغيظ؛ لأنه يعني ترك المطالبة بالحق، ومسامحة من أساء إليك، هذا يكون فقط لأولئك الذين يتمتعون بالأخلاق الحميدة ويتخلون عن الأخلاق السيئة. ويبتغون وجه الله تعالى، ويعفون عن إخوانه المسلمين، رحمة بهم، وإحساناً إليهم، ويكره رؤية الشر يصيبهم؛ ليغفر الله له، ويكون ثوابه عند ربه الكريم، لا عند العبد الفقير. كما قال تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [45].

ومن كتم غيظه مع قدرة إنفاذه بشَّره رسول الله -ﷺ- بخير كثير، حيث قال -ﷺ-: "من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يُخيره الله في أيّ الحور العين شاء" [46] [47].

وقد يحدث بعض الخصومات والنزاعات بين الأشخاص نتيجة للتعامل المباشر، مما قد يؤدي إلى حصول بعض النزاعات والخصومات بينهم، والموفق من الناس من جعله الله مصلحا بين المتهاجرين أو المتخاصمين، وهذا العمل أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق -ﷺ- حيث قال: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة" [

---

[40] سورة الشعراء الآية: (89).

[41] سورة الشورى الآية: (37).

[42] سورة آل عمران الآية (134).

[43] سورة الشورى الآية: (40)

[44] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، باب من كظم غيظًا، رقم الحديث: 4779، ج 4، ص 394، ومحمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، باب الحلم، رقم الحديث: 4186، ج 2، ص 1400، ومحمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، باب في كظم الغيظ، رقم الحديث: 2021، ج 4، ص 372.

[45] ينظر: كتاب الآداب، ص 199، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، آداب المجالسة، تحقيق: سمير حلبي، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، 1409هـ، ج 1، ص 118.

48) (49).

إذن يجب على المسلم المؤمن بالله أن يسعى إلى صفاء القلب من الحقد والحسد وغيره من الأخلاق السيئة، وأن يدرك أن الخطأ والزلل لا يسلم منه أحد، ولأنه سمي الإنسان (أي من النسيان)؛ لأنه ينسى ويغفل ويخطئ ويصيب، فمن عفا عن أخيه يرجو بذلك ثواب الله تعالى، فإن له أجر عظيم عند تبارك وتعالى، ومن ستر عن مسلم ستره الله تعالى، ومن عفى عنه عفى الله تعالى عنه، فيا أيها الأخ الكريم استحضر فضل العفو والتسامح عندما تعفو عن أخيك المسلم، فإن فضله عظيم وعطاءه جزيل لا ينقطع، وإن النبي -ﷺ- أسوة حسنة لمن أراد أن ينظر العفو والتسامح بين الناس، ولكن بأسف نحن تركنا قراءة سيرة حبيبنا محمد -ﷺ- حتى نقتدي به في كل صغيرة وكبير.

الأدب السابع: النهي عن التحاسد والتباغض والتنابز بالألقاب

كان النبي -ﷺ- يدعو إلى حسن الخلق الذي يوجب التآلف والتوافق بين جميع البشر وينهى عن التحاسد والتدابر والتباغض، وفي حديث يقول -ﷺ- "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيامٍ" [50] والحسد ينقسم إلى نوعين: الحسد المذموم والحسد المحمود. الحسد المذموم هو الرغبة في زوال نعمة الآخرين، وهذا ظلمٌ وعدوان. والمحمود هو الغبطة، وهي أن تتمني أن يكون لك مثل نعمة الآخرين من غير زوالٍ لها، وهي المقصودة في قوله -ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين رجلٌ آتاه الله الكتاب وقام به آناء الله، ورجلٌ أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار" [51].

ومن آفات اللسان التي تجلب الآثام وتشعل نار الفتن بين الناس هي التنابز بالألقاب وتلقيب الآخرين بألقاب مذمومة يُعيرون بها، ويُضحك عليهم منها، وفيه نهيٌ من الله جل في علاه، قال تعالى: "ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان" [52]، قال أبو جبير بن الضحاك [53]، قال أبو جبير بن الضحاك -رضي الله عنه-: "قدم علينا رسول الله -ﷺ-، وليس منا رجلٌ إلا وله اسمان أو ثلاثة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان. فيقولون: مه يا رسول الله -ﷺ- إنه يغضب من هذا الاسم فأُنزلت هذه الآية" [54].

---

[46] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، باب في إصلاح ذات البين، رقم الحديث: 4921، ج 4، ص 432، ومحمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2509، ج 4، ص 663.

[47] ينظر: كتاب الآداب، ص 202، أمير بن محمد المدري، المواعظ الإيمانية من الآيات القرآنية، ج 1، ص 230.

[48] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب الهجرة، رقم الحديث: 5726، ج 5، ص 2256.

[49] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب اغتباط صاحب القرآن، رقم الحديث: 4737، ج 4، ص 1919، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم، رقم الحديث: 815، ج 1، ص 558.

[50] سورة الحجرات الآية (11).

[51] هو: أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري، ولد بعد الهجرة، قَالَ بعضهم: لَهُ صحبة، وقال بعضهم: لا صحبة له، وهو كوفي، روى عنْه قيس بن أبي حازم، والشعبي، وابنه مُحَمَّد بن جبيرة. ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ، ج 7، ص 63.

[52] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، باب في الألقاب، رقم الحديث: 4964، ج 4، ص 445.

خاصة العداوة بين الأقارب، هي أمر صعب؛ لأن كل شخص من الأقارب لا يحب أن يفوته قريبه، ولأجل ذلك يقع التحاسد، فينبغي لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم، ويتجاوز عن زلاتهم، ويرفق بهم لعله يسلم [55]، جاء رجل إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسولَ اللهِ -ﷺ- إنَّ لي قرابةً أَصِلُهم ويقطَعوني وأُحسِنُ إليهم ويُسيئون إليَّ وأحلُمُ عنهم ويجهَلون عليَّ فقال -ﷺ-: "لئنْ كان كما تقولُ فكأنَّما تُسِفُّهم المَلَّ ولا يزالُ معك مِن اللهِ ظهيرٌ ما دُمْتَ على ذلك" [56].

الأدب الثامن: تحريم ا لمن، وحفظ السروعدم إفشاؤه، وذم ذي الوجهين

يحرم المنّ بما أعطى [57]، وقد عدّه بعض العلماء من الكبائر [58]، والآيات والأحاديث كثيرة تدل على حرمته كقوله تعالى: "الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى..." [59]، وقوله -ﷺ- "ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" [60]، وقوله -ﷺ- "لا يدخل الجنة منَّانٌ ولا عاقٌ ولا مدمنُ خمر" [61].

ومن آداب المعاشرة حفظ السر وعدم الكشف عنه، فهو من الأمانات التي يجب المحافظة عليها، ومن يكشف السر فهو خائن للأمانة، وهي من خصال المنافقين، كما قال النبي -ﷺ- "آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" [62]، وقال -ﷺ- "إذا حدث الرجلُ الحديث ثم التفت فهي أمانة" [63]، تدل هذه الأحاديث على وجوب كتمان السر وعدم إفشائه للناس، مما يظهر حرص الشارع الحكيم وعنايته بحفظ أسرار الناس وصونها [64].

ومن آداب المعاشرة أن يكون قلب الأخ المسلم صافيا لإخوانه، ولا يكون ذا وجهين، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وهو شر الناس كما قال -ﷺ- "إن شر الناس عند الله يوم القيامة ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"

---

[53] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق: عبد القادر أحمد عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ، ج 1، ص 473، وكتاب الآداب، ج 1، ص 201–202.

[54] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث: 2558، ج 4، ص 1982.

[55] المن هو: أن يتطاول المحسن بإحسانه على من أحسن إليه، ويتفاخر عليه بسبب ما أعطاه من عطايا. كأن يقول على سبيل التفاخر والتعبير: لقد أحسنت إليك وأنقذتك من الفقر وما يشبه ذلك.

[56] عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1419هـ، ج 1، ص 336.

[57] سورة البقرة الآية: (262)

[58] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، رقم الحديث: 106، ج 1، ص 102.

[59] محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1414هـ، باب ذكر الإخبار عن نفي دخول الجنة عن المنان بما أعطى في ذات الله، رقم الحديث: 3383، ج 8، ص 175.

[60] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب علامة المنافق، رقم الحديث: 33، ج 1، ص 21، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس، رقم الحديث: 59، ج 1، ص 78.

[61] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، باب في نقل الحديث، رقم الحديث: 4870، ج 4، ص 418، ومحمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء أن المجالس أمانة، رقم الحديث: 1959، ج 4، ص 341.

[62] ينظر: كتاب الآداب، ج 1، ص 203.

[65]، وهذا يعتبر نفاقًا وكذبًا وخداعًا، حيث يفعل ذلك كي يتمكن على الاطلاع على أسرار كلتي الطرفين لإرضاء كل طرف على حدة، ويبدي تأييده لكل منهما، وهذا يعتبر مداهنة محظورة، أسأل الله تعالى أن يحفظنا من الأخلاق السيئة ويهدينا إلى أحسنها.

بعض صور الاستهزاء:

أولا: الاستهزاء بأهل الصلاح، العلماء، والدعاة، أو بأحكام الشريعة هو أمر أصبح شائعًا في هذا الزمن، حيث قد يستهزئ البعض منا بأمور دينية دون أن يشعروا بخطورة ذلك، أسأل الله تعالى أن يهدينا إلى سواء الصراط.

ثانيا: الاستهزاء والاحتقار بالفقراء والضعفاء، حيث إنهم يواجهون ضيق العيش وقلة المال، وأحد يستغل ذلك ويحمّلهم ما لا طاقة لهم، ثم لا يدفع لهم الأجرة المستحقة، وهذا تكبر وظلم واحتقار لهم، فإن الظلم من ظلمات يوم القيامة، فاعلم يا عبد الله أن الله قد يعفو عن حقوقه إذا حصل الكسل والتهاون إلا الشرك، ولكن غصب حقوق الآخرين وظلمهم لا يغفر حتى يعفو عنه المظلوم، وإن كان متكبرا، يفتخر بما عنده من سعة العيش ويعتقد أنه من علمه ومن ذكائه، فإن قارون قد فعل ذلك، ولكن لم يغنه شيئا لما أتى عذاب الله تعالى.

ثالثا: الاستهزاء بالجيران والأقارب، وقد يكون السبب الحسد والحقد، وهذا المرض قد فشا في هذا الزمان، وزاد سوءا وعاقبة، نسأل الله تعالى السلامة.

في ضوء ما سبق: إن الإسلام يأمرنا أن نحترم بعضنا بعضا، ولا نحتقر، ولا نتنابز بالألقاب، وإنما نحمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، ونسعى في جمع شمل الأمة حتى نخرج من عهد الزل والهوان إلى عهد العز والوقار.

الأدب التاسع: التعامل مع الوالدين:

لقد اهتم القرآن الكريم بذكر التعامل مع الوالدين في أماكن عديدة، ووضع حدودا وقيودا لذلك، وحذّر المؤمنين من التعامل الذي يؤذيهما، ولأجل ذلك ذكرهما الله تعالى بعد ذكر التوحيد، وذلك يدل على عظم قدرهما وعلو منزلتهما، فينبغي لكل إنسان أن يشكر الوالدين، ويتكلم معهما برفق ولين ويتأدب عند المخاطبة، ولا يرفع الصوت فوق صوتهما، وإنما يخفض لهما جناح الذل من الرحم ويدعو لهما آناء الليل وأطراف النهار، ويخدمهما إن كانا أحياء، ولا نتهاون في ذلك، ونحتسب الأجر عند تبارك وتعالى.

وأما إن كانا قد ارتحلا من هذه الدنيا الفانية، فيدعو لهما، كما هو من صفات الولد الصالح، ويتصدق عنهما ويزور قبورهما، ويصل أرحام أقارب والديهما، ويقوم بتنفيذ وصاياهما، ولا يترك حقا من حقوق الناس إلا وقد يؤدي ذلك عنهما، وهذه مسؤولية عظيمة على الأولاد، ينال بذلك شرف الدنيا والآخرة، ومن أراد أن يعرف مرتبة الوالدين فليقرأ القرآن وحديث الرسول -ﷺ- وهنا أذكر لكم آية واحدة تدل على عظم شأن الوالدين حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا

---

[63] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك، رقم الحديث: 6757، ج 6، ص 2626، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، رقم الحديث: 2526، ج 4، ص 2011.

تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [66].

اعلم يا أخي المسلم أن الوالدين مثل الشجرة التي تستظل بها طول حياتهم، ولا يصل إليك تعب الدنيا إلا قليلا، وأما إذا ارتحلوا من هذه الدنيا الفانية، ستحس أن الظل قد زال، وانكشفت أمام أشعة الشمس التي تبدأ تؤلمك، ولا أحد يظلّك مثل ما ظلّ أبويك، فلا تضيع الفرصة، إن كان والداك حيين، وابحث الجنة تحت قدميهما، واسْع أن ترضيهما، وتخدمهما، وتقضي حاجاتهما، متما طلبوا منك، نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويسدد خطانا.

الأدب العاشر: التعامل مع الأقارب:

اهتم الإسلام بصلة الرحم مع الأقارب وحثّ على التعامل معهم بالرفق واللين، والحكمة والموعظة الحسنة، وأقول: بأن صلة الرحم من أعظم الأعمال أجرا، حيث هذا العمل يتطلب منا الصبر على ما نواجه من مواقف غير محببة منهم، فالمؤمن التقي القوي لا ينتقم، بل يعفو عنهم ويحتسب الأجر عند الله تعالى، ويسعى دائما لإصلاح ذات البين، وصلة الرحم سبب لبركة الله تعالى، فمن أراد أن يبارك الله تعالى في عمره وماله وأولاده فليصل رحمه، ومن أراد أن يقيه الله تعالى من المصائب والمشكلات وسوء العاقبة فليصل رحمه، قال النبي -ﷺ-: "لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا"[67].

وكذلك حثّ الإسلام على الإنفاق على الأقارب وبيّن أفضليته، ولا شك أن ذلك من الأعمال عظيمة القدر عند الله تعالى؛ لأن الشيطان ينزغ بين الأقارب، والإنفاق يطفئ نار البغض والغضب والحسد؛ ولأن المنفق عليهم له أجران أجر الصدقة وأجر الصلة، وإن كان المنفَق عليه قاطع الرحم، فالأجر يعظم، ويزداد، ولكن الأمر صعب للغاية؛ لأن الشيطان يوسوس ويثير الغضب، ويحاول أن يمنع المؤمن من الأعمال الصالحة، ولكن المؤمن الصادق لا يلتفت إلى وساوس الشيطان، وإنما يكون همّه أن يبحث عن الأعمال التي توصّله إلى رضوان الله تعالى، ويبتعد عن الأعمال التي يورث غضب الله تعالى

وينبغي للمسلم أن يلزم الاستغفار والصلاة على النبي -ﷺ- وذلك من أسباب تفريج الهموم والغموم، ويتضرع بالدعاء آناء الليل والنهار، خاصة عندما يكون في السجود، فليجتهد في الدعاء، لأن هذا مقام القرب من الله لعبده، وأقرب أن يستجاب له.

خلاصة البحث وأهم النتائج:

إن هذا الدين دين رحمة، يعلّم الناس الآداب الاجتماعية السامية التي يجب أن يتحلى بها المسلم، وقد كان في رسول الله -ﷺ- وأصحابه أسوة حسنة في ذلك، ولذلك كانوا بنيانا مرصوصا أمام عدوهم، ولم يكن في قلوبهم حسد ولا بغض ولا عدوة على إخوانهم ولذلك انتشر الإسلام في أرجاء العالم، وكان السبب الرئيسي هو: أخلاقهم العالية ومعاملتهم الحسنة مع الناس وخوفهم من الله تعالى، وهذه الأمة بحاجة أن تعود إلى هذه الخصال الحميدة حتى تجمع شملهم وتقف أمام عدوهم كالنفس الواحدة. فيما يلي أهم النتائج.

---

[64] سورة الإسراء الآية: (23-24)

[65] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب ليس الواصل بالمكافئ، رقم الحديث: 5991، ج 6، ص 8.

1- ينبغي على المسلم على أن يختار الصاحب التقي، والصديق الصالح، ويحذر مصاحبة الأشرار وأهل الفسق والفجور.

2- أن تكون المحبة في الله، ويكون مبتسم الوجه وبشّاشا ولينّا للإخوان، ويحذر كل ا لحذر أن يشوبه شيء من حظوظ الدنيا فيفسدها.

3- إن بذل النصيحة من تمام الأخوة وكان النبي -ﷺ- يبايع عليها أصحابه، وقد وردت الأحاديث في عظم شأنها وعلو منزلتها.

4- ينبغي على المسلم أن يكون حسن الخلق ومتعاونا ومتواضعا بين الإخوان، ولا يكون حسودا أو متكبرا.

5- إن من الخصال الجميلة ومن الأخلاق الرفيعة سلامة الصدر وإحسان الظن بالإخوان وعدم التجسس عليهم.

6- ومن السجايا النبيلة العفو عن الزلات وكظم الغيظ، والسعي للإصلاح بين الناس.

7- يحرم التحاسد والتباغض والتنابز بالألقاب، وإنما ينبغي أن يكون المسلم مخلصا وسليم القلب لإخوانه.

8- يتبين بما سبق أن المن بما أعطى حرام، ولا يجوز أن يتطاول المحسن بإحسانه على من أحسن إليه، وكذلك لا يجوز إفشاء السر، بل أمر الشارع بحفظه.

التوصيات:

1- أوصي كل من يقرأ هذه المقالة أن ينقل هذه الآداب إلى إخوانه المسلمين وأخواته المسلمات، لتعم الفائدة ويتحقق النفع المتبادل.

2- يجب على الدولة المسلمة أن تنظم دورات تدريبية في المدارس والجامعات لتعزيز الوعي الكامل بهذه الآداب بين الطلاب والمجتمع.

3- تقع على عاتق الخطباء والأئمة مسؤولية عظيمة في هذا المجال، لتعزيز التآلف بين الناس وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم تجاه بعضهم البعض.